


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية أصول الدين

الملتقى الوطني:
عناية الجزائريين بموطأ مالك
– التاريخ – الامتداد - الآفاق

بحث بعنوان:

جهود علماء الجزائر في شرح الموطأ ، دراسة نموذجية لشرحي أبي عبد الله اليفرني التلمساني (٦٢٥ هـ).

د. نبيل بلهي
أستاذ الحديث وعلومه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.




بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

هذا البحث يسلط الضوء على علم من أعلام الجزائر وهو : أبو عبد الله اليَفُرَنِي التلمساني، وجهوده في خدمة موطأ الإمام مالك بن أنس ، من خلال كتابَيْهِ في شرح الموطأ، وهما: (المختار الجامع بين الموطأ والإستذكار) وهو كتاب مخطوط لم يطبع لحد الآن، وكتابه الآخر المختصر منه (الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب) أبيِّنُ من خلاله عناية المصنف بشرح الموطأ سندًا ومتنا، والجانب الذي أبدع فيه أثناء خدمته للكتاب، وأهمَّ فوائده وكيفية الإستفادة من كتبه في الدرس الحديثي المتعلِّق بموطأ مالك.

وقد خلُصَ البحث إلى نتائج ، أهمُّها: أنَّ كتاب الاقتضاب في غريب الموطأ هو جزء منتقى من شرحه الكبير (المنتقى الجامع بين التمهيد والاستذكار) حيث استلَّ منه ما تعلَّق بغريب الحديث فقط، وترك ما تعلَّق بالإسناد وفقه الحديث والمسائل، أما كتابه الآخر الجامع هو جمع لطيف مختصر بين شرحين عظيمين، وفيه تعقيبات وفوائد.

الكلمات المفتاحية: اليفرني التلمساني – غريب الموطأ – شرح الموطأ – خدمة الموطأ – علماء الجزائر.

Summary of the research:

This research highlights a prominent figure from Algeria: Abu Abdullah Al-Yafri Al-Tlemceni, and his efforts in serving the Muwatta of Imam Malik ibn Anas, through his two books on the explanation of the Muwatta. These are: (The Selected Compilation between the Muwatta and Al-Istidhkar), which is a manuscript that has not yet been printed, and his other summarized work (Al-Iqtidaab in the Rare Terms of the Muwatta and its Grammatical Analysis by Chapters). Through this, I illustrate the author's dedication to explaining the Muwatta in terms of its chain of narration and content, the aspects in which he excelled while serving the book,

its most important benefits, and how to benefit from his works in the modern study related to the Muwatta of Malik.

The research concluded with results, the most important of which are: that Al-Iqtidaab in the Rare Terms of the Muwatta is a selected part of his larger explanation (Al-Muntakha Al-Jami' between Al-Tamheed and Al-Istidhkar), where he extracted what pertains only to the rare terms of the hadith and left out what pertains to the chain of narration, jurisprudence of hadith, and issues. The other comprehensive book is a concise collection between two great explanations, containing remarks and benefits.
Keywords: Aliferni Al-Tlemceni – Gharib Al-Muwatta – Explanation of Al-Muwatta – Service of Al-Muwatta – Scholars of Algeria.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد: فمِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الدرس الحديثيَّ في الجزائر أصيل أصالة الإسلام في هذا البلد، فقد اعتنى علماء الجزائر بالسنة النبوية تعلما وتعليما منذ إشراق شمس الإسلام على هذه الربوع الطيبة، وأولى علماؤنا السنة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم- إهتماما كبيرا، فكان الدرس الحديثي حاضرا في الحركة العلمية، وإنَّ من أعظم المدونات الحديثية التي أولاها هؤلاء اهتماما كبيرا موطأ إمام المذهب الذي يُعَدُّ أصح من كتب السنة النبوية، وهو كتاب فقه وحديث لا زال العلماء ينتفعون به شرقا وغربا، وقد خُدِمَ هذا السفر الجليل بخدمات عديدة منها مع تعلَّق بالترجمة لرجال أسانيده، ومنها ما تعَّلق بشرح ألفاظه وبيان معانيه، ومنها ما انصبَّ على الفقه المستنبط منه، وكان لعلماء الجزائر بحكم انتسابهم لمذهب مالك إسهام في هذه الجهود، لذلك أردتُ أن أضرب بسهم في هذا المضمار، لأبين بعض هذه الجهود في هذا الملتقى الموسوم (عناية الجزائريين بموطأ مالك – التاريخ – الامتداد – الآفاق) وذلك من خلال بيان جهود شخصية تلمسانية خدمت الموطأ خدمة جليلة، فكان هذا البحث بعنوان: «جهود علماء الجزائر في شرح الموطأ ، دراسة نموذجية لشرحي أبي عبد الله اليفرني التلمساني (٦٢٥ هـ)».

إشكالية البحث: من خلال ما سبق ذكره من توطئة للموضوع، يمكننا أن نطرح سؤالا علميا هو في الحقيقة محورُ البحث ومشكلته التي نبحثها.

- ما مدى عناية الإمام أبي محمد اليفرني التلمساني بموطأ مالك؟ وهي أهم جهوده المبذولة في خدمة هذه المدونة الحديثية الأصيلة؟

وتكمن أهمية البحث في مكانة موطأ الإمام مالك بين المدونات الحديثية الأصيلة،

ولارتباط المالكية بكتاب إمامهم، فكان من اللازم تسليط الضوء على جهود علماء تلمسان عموما، وأبي عبد الله اليفرني خصوصا في هذا المضمار.

فيهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جهود هذا الإمام الفقيه التلمساني في خدمة الموطأ إسنادا ومتنا، ودراستها ضمن الجهود التي بذلها علماء الجزائر في هذا المجال، إذ لا تزال غير ظاهرة، وكثير من المخطوطات في هذا الفن لا تزال حبيسة في الخزائن والمكتبات.

كما يهدف هذا البحث إلى لفْتِ انتباه الباحثين إلى تراث علماء الجزائر في خدمة الموطأ، وحثِّهِم على نشره وتحقيقه، وإقامة الدراسات العلمية الجادَّة حوله، لربط الأجيال بعضها ببعض، حتَّى تستمر الحركية العلمية يبني فيها الخلف على ما تركه سلفه من أهل العلم والفضل.

أما عن الدراسات السابقة، فلم أقف بعد البحث والتنقيب على من تكلم عن جهود الإمام اليفرني التلمساني في خدمة الموطأ والسنة النبوية عموما، إلا ما سطره المحقق البارع الدكتور عبد الرحمن العثيمين في مقدمة تحقيقة لكتاب (الاقتضاب في غريب الموطأ) للمؤلف، حيث ترجم للمصنف ترجمة جيدة، وبين منهجه في تصنيف كتابه.

كذلك وقفت على بحث بعنوان: «الفقيه محمد بن سليمان اليفرني الكومي الندرومي: صورة من واقع المشهد الثقافي في حاضرة تلمسان» من إعداد الدكتور: لخضر بولطيف، وهو منشور في مجلة: عصور الجديدة، العدد ٢، ٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ.

ومن أجل الوصول إلى النتائج المرجوة وضعت هذه الخطة .

خطة البحث:

مقدمة: توطئة للبحث.

المبحث الأول: ترجمة أبي عبد الله محمد اليفرني التلمساني.

المبحث الثاني: جهود التلمساني في خدمة الموطأ من خلال كتابه (الإقتضاب في غريب الموطأ).

المبحث الثالث: جهود التلمساني في خدمة الموطأ من خلال كتابه المخطوط (المختار الجامع بين المنتقى والإستذكار).

الخاتمة : النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: ترجمة أبي عبد الله محمد اليفرني التلمساني.

لا شك ولا ريب أن قيمة أي كتاب توزن بقيمة مؤلفه ومكانته في العلم، ولا يمكن معرفة هذه القيمة إلا بالرجوع إلى ترجمته ومعرفة شيوخه وتلاميذه وثناء العلماء عليه، لذلك سأحاول في هذا المبحث أن أستقصي ما قيل ترجمة أبي عبد الله اليفرني التلمساني مما له علاقة بجهوده الحديثية.

○ **اسمه ونسبه:**

هو مُحَمَّد بن عبد الْحق بن سُلَيْمَان اليَفُرَنِي، البَطُّوئِي، النَّدْرُومِي، أبو عبد الله التلمساني[1]

(اليَفُرَنِي) نسبة إلى قبيلة يَفُرَن من قبائل البربر في المغرب.[2]

مولدُه سنةَ ستٍّ أو سبع وثلاثينَ وخمس مئة، بندرومة طلب العلم على والده وأهل بلده، ثم رحل إلى المغرب ودخل سبتة ومراكش وفاس، ومنها دخل إلى الأندلس فطاف وجال هناك وسمع من الشيوخ الكبار.

○ **شيوخه:** أخذ العلم عن شيوخ بلده، منهم: والده عبد الحق، وعمران التليدي، وأبو بكر ابن عصفور، وابن أبي قنون، وأبي علي الحسن بن الخراز، وأبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي.

وأما شيوخه من غير أهل بلده، فنذكر منهم: أبو محمد قاسم بن الزقاق، أبو القاسم بن حبيش، وأبو القاسم السهيلي.

وأجازه من أهل الأندلس كل من: أبو بكر بن خير، وابن النعمة، وأبو القاسم بن

---

[1] الذيل والتكملة، للمراكشي: ٥/ ٢٠٨.

[2] قال السمعاني في الأنساب (١٢/ ٤١٩) : "اليفرني: بفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وضم الفاء وفتح الراء وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى يفرن، وهي قبيلة من البربر ببلاد المغرب".

بشكوال.[1]

○ **تلاميذه:** أما الآخذون عنه فهم كُثُر، نذكر من أشهرهم:

أبو الحجاج محمد بن علي الأسدي، أبوعبد الله بن أبي بكر البري ، ابن علي بن حماد، وأبوالعباس المووروري.

ومن تلاميذه بالإجازة الإمام الرعيني صاحب البرنامج المشهور.

○ **ثناء العلماء عليه:**

وردت في بطون تراجم هذا الإمام العظيم مقولات وشهادات أهل العلم له بالفضل والعلم والسبق إلى الفضائل، نسوقها هنا لنبين مكانته، وقيمة كتبه.

قال الرُّعَيْنِي في برنامجه: "ومن أهل تلمسان -حماها الله سبحانه- الشيخ الفقيه الأجل، أبوعبد الله محمد بن الحاج أبي محمد عبد الحق، بن سليمان، -رحمه الله- كان في بلده متصديا لإفادة العلم، ذا صيت ونباهة، أجاز لي جميع ما يحمله، وما ألفه، وماله من نظم ونثر ".[2]

وقال ابن الأَبَّار: "وكان حميد السيرة مشاركا في الفقه وعلم الكلام معنيا بالحديث وروايته جوادا واسع المروءة معظما عند الخاصة والعامة وجمع من الدفاتر والدواوين العتيقة".[3]

وقال ابن عبد الملك المراكشي: "وكان راويةً للحديث فقيهًا حافظًا متكلِّمًا متفننًا في علوم جَمّة بارعَ الكتابة حَسَنَ الخَطّ جَماعةً للكُتُبِ الجليلة مُغاليًا في أثمانِها، احتَوتْ

---

[1] الذيل والتكملة، للمراكشي: ٥/ ٢٠٨. و الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المراكشي: ٤/ ١٨٤ – ١٨٥. المستملح من كتاب التكملة، الذهبي: ص ١٦٥.

[2] برنامج، الرعيني: ص ١٦٩.

[3] التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار: ٢/ ١٦٦. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، المراكشي: ٤/ – ١٨٥.

خِزانتُه على ما لم يجتمعْ لأحدٍ من أبناءِ جنسِه كثرةً ونَفاسة، وكتَبَ بخطِّه الكثير، وعُنيَ بتصحيح كُتبه".[1]

وقال محمد بن عبد الملك الأنصاري: " كان فقيها فاضلا مؤثرا ماله على الطلبة، حسن الخلق والخلق، بارع الخط، ذكر لي من تواليفه نحوا من عشرين تأليفا جمع من الكتب ما لم يجمع أحد من أبناء جنسه".[2]

وقال الذهبي: "وكان إماما معظما، كثير التصانيف، من ذلك غريب (الموطأ) ، وكتاب (المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار) في عشر مجلدات".[3]

○ **وفاته:** اتَّفَقَتْ كتب التراجم على أن الإمام أبا عبد الله اليفرني، أفضى إلى ربِّه سنة خمس وعشرين وستمائة، بعد عمر حافل بالعلم والتعليم والتصنيف.

قال ابن الأبَّار: "وتوفي بتلمسان سنة خمسٍ وعشرين وستمائة، وقد نيَّف على الثمانين".[4]

وقال ابن قنفذ: "وفي سنة خمس وعشرين وستمائة توفي بتلمسان الفقيه المحدِّث المحقِّق القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الحقِّ التلمساني صاحب المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار".[5]

---

[1] الذيل والتكملة، للمراكشي: ٥/ ٢٠٩.

[2] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين– : (و/ ١).

[3] سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٢/ ٢٦١. وانظر، تاريخ الإسلام، للذهبي: ١٣/ ٨٠٢.

[4] التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار: ٢/ ١٦٦.

[5] الوفيات، ابن قنفذ: ص ٣١٠.

○ **مؤلفاته**: كان أبو عبد الله اليَفُرَنِي مكثرًا من التأليف، وقد حفظ لنا أسماء مؤلفاته، في ذيل برنامجه الذي جمع فيه إجازاته ومروياته اسمه (الإقناع في ترتيبِ السَّماع).[1]

وقد وصف تلميذه الرعيني مؤلفاته بقوله: "له تواليف لها أسماء هائلة، مثل كتاب «الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم» ، و«فرقان الفرقان وميزان القرآن» — لم أقف منهما على شيء – وقد أورد تسميتها في برنامجه ".[2]

قلت: حفظ لنا المراكشي نصًّا نفيسًا في ذكر مؤلفاته نقلًا عن برنامجه فقال:

"مَراتبُ تواليفي:

– (الفَيْصَلُ الجازم، في فضيلةِ العِلم والعالِم) في مراتبِ العلوم، جزء.

– (بَرنامجَي)، وهو كمراتبِ التواليف، وسمّيتُه: (الإقناع في كيفيّة الإسماع)، جزء.

– (لُبابُ الإعراب)، جزءٌ كبير،

– (فُرقانُ الفرقان وميزانُ القرآن) جزء،

– (عقيدةُ عِلْيةِ الخَلْق وزُبدةُ معرفةِ الحقّ، المضنونُ بها على غير أهلِ الصِّدق)، جزء،

– (غريبُ الشِّهاب)، جزء.

– (إكمال اللآلي على الأمالي)، سِفْران،

– (غريبُ الموطّإ وإعرابُه) ، سِفر، وسمّيتُه: (الاقتضابَ)؛ لأني اقتضَبْتُه من الكتابِ الكبير كتاب (المختار الجامع بين المنتقَى والاستذكار)، بزياداتٍ من (التمهيد) وغيرِه تونّقُ النفوَسَ وتَرُوق الأبصار، في نحوِ العشرينَ سِفْرًا، يشتملُ على نحوِ الثلاثة آلاف ورقة.

– (مخُتار المختار بين يدَيْ مختصَر كتابِ البخاريّ)، في سِفرٍ كبير،

---

[1] الذيل والتكملة، للمراكشي: ٥/ ٢٠٩.

[2] برنامج، الرعيني: ص ١٧٠.

- جزءٌ من شعري منتَخَل،

- (ميزانُ العمل) جزءٌ كبير،

- (إرشادُ المسترشدِ وبُغيةُ المُريدِ المُستبصِر المُجتهد)، سِفرٌ صغير.

- (الإيماءُ إلى نجاةِ المزيد) جزء.

- (النُّبُذة المُسعِدة واللمحةُ المُصعِدة)، في الاعتبار، جزء.

- (النُّكَتُ المحرَّرة والفصُولُ المحبَّرة)، في حقيقةِ التنزيه ونَفْي التشبيه، جزء،

- (الأجوبةُ المحرَّرة على المسائلِ المغيَّرة)، جزء.

- (التّسَلّي عن الرَّزِيّة والتحَلّي بالرّضا بقضاءِ باري البِرّية)، جزء.

- (مجموعٌ شعريٌّ في المواعظ)، جزء.

- (نَفْثةُ ذي الضّراء ومَسْلاتُه برثاءِ الآباءِ الأبناء)، جزءٌ كبير.

- (التذكِرة للنّوادرِ المتخيَّرة)، مضَى منه نحوُ ثلاثةِ أسفارٍ ولم يتمَّ، وهو بين يدَيّ

- (حدودُ أنواع الحُكْم الشَّرعي)، جزء.

- (مُستصفَى المُستصفَى)، ابتُدئَ ولم يتمَّ.

- (فَصْلُ المقال في مناقلِ أحوالِ غزو أهلِ الإلحادِ والضّلال)، إلى طُلَيْطُلة، كذا، جزءٌ".[1]

[1] الذيل والتكملة، للمراكشي: ٥/ ٢٠٩.

المبحث الثاني: جهود التلمساني في خدمة الموطأ من خلال كتابه الإقتضاب في غريب الموطأ.

عناية علماء الجزائر بموطأ الإمام مالك غير مستغربة ، فهو كتاب إمام المذهب المالكي ، الذي يدين به أهل جزائر عموما وتلمسان خصوصا، والإمام اليفرني التلمساني فقه وقاضي مالكي، لذلك كان من الضروي الاعتناء بالموطأ شرحا ودرسا وتصنيفا، وقد حاول هذا الإمام أن يقدم شيئا جديدا ومميزا في خدمة الموطأ، فاختار العناية بغريب ألفاظه شرحا وإعرابا وتوجيها، فصنف كتابه (الاقتضاب في شرح غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب) وهو في الأصل مختصر من كتاب الكبير (المختار الجامع بين المنتقى والإستذكار) حيث استل منه ما تعلق بغريب الموطأ، وأفرده بالتصنيف ، قال ابن الأبار: "وله تواليف في فنون منها كتاب الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه اقتضبه من الكتاب الكبير المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار في عشرين سفرا أو نحوها يشتمل على نحو ثلاثة ألاف ورقة".[1]

وهذا هو الظاهر من عنوانه (الإقتضاب) فهو إقتضاب واستلال وليس إختصارا لأصل الكتاب، إذ لو كان مختصرا، لوجدنا فيه الكلام على على فقه الحديث والصناعة الإسنادية ولو بشكل مختصر، لكننا لا نجد ذلك، فعلمنا أنه اقتضاب وليس اختصارا من الأصل.

[1] التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار: ٢/ ١٦٦.

○ **منهجه في كتابه:**

سبق معنا أن عنوان كتابه (الاقتضاب في شرح غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب) ومن هذا العنوان العلمي نستفيد منهجه في كتابه، فهو شرح للألفاظ الغريبة في متون موطأ مالك، اقتضبها من كتاب الكبير (المختار الجامع) ورتب هذه الألفاظ الغريبة، على ترتيب الكتاب وليس على الترتيب المعجمي للألفاظ كما هي عادة من يؤلف في غريب الحديث، فإنهم يرتبون كتبهم على حروف المعجم كما صنع القاضي عياض في كتابه (مشارق الأنوار على صحاح الآثار) بينما نحى اليفرني منحى آخر في الترتيب وهو وجه من أوجه التجديد في التصنيف، يسهل على قارئ الموطأ تتبع غريب الحديث على الترتيب بابا بابا.

لم يقتصر اليفرني على شرح الغريب فقط ، بل اعتنى كذلك في هذا بالتوجيه اللغوي والنحوية لبعض الحروف والألفاظ، وذكر الفروق اللغوية والاستدلال لها من أشعار العرب، قال اليفرني: "وقوله: «حتى يظل الرجل أن يدري كم صلى» يروى: «يظل» بالظاء، مشالةً، وبالضاد بفتحها وكسرها. ويروى - أيضـًا- بفتح «أن» وكسرها، من (أن يدري) فمن روى (يظل) بالظاء، فمعناه: حتى يصير الرجل لا يدري كم صلى؟ وقيل: (يظل هاهنا): بمعنى: يبقى لا يدري كم صلى، وأنشدوا:

ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً ... أعد الحصا ما تنقضي عبراتي

ولا تقول العرب (ظل) إلا لكل عملٍ يكون بالنهار، كما لا يقولون (بات) إلاباليل، وربما جاء (ظل) في الليل في أشعارهم، قال عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنار به كريم المأكل".[1]

---

[1] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ١/ ٩٨.

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها اليفرني عنايته بالألفاظ التي روي بها الحديث أثناء السماع، ومحاولة توجيه كل لفظ مسموع وتخريجه على وجه من أوجه اللغة العربية، من ذلك قوله في شرح أثر عمر بالخطاب: «أَلَمْ أَرَ جَارِيَةَ أَخِيكِ تَحُوسُ النَّاسَ» قال اليفرني: "في رواية يحيى: (تجوس الناس) بجيم. وفي رواية ابن وهب وابن القاسم: (تحوس) بحاء غير معجمة، وهما لغتان. وقال أبو زيد: سمعت أبا سوارٍ الغنوي يقرأ [قوله تعالى]: ﴿**فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ**﴾ فقال: جاسوا وحاسوا واحد، معناه: وطئوا، يقال: جاستهم الخيل".[1]

ومن منهجه كذاك عدم الاقتصارعلى شرح الألفاظ الغريبة في متن الحديث التي لا يدرك معناها إلى بالرجوع إلى المعاجم اللغوي، بل شرح كذلك بعض المفردات والمصطلحات الفقهية المتداولة والتي وردت في تراجم الموطأ وغيره، يوضح معناها الإصطلاحي والشرعي ويحده حدا، استنادا لمعناه اللغوي.

مثال ذلك قوله : تحت (باب الوضوء من المذي): "(الوضوء من المذي) قال مالكٌ: الودي يكون من الحمام يأتي أثر البول، أبيض خاثراً، قال: والمذي: يكون معه شهوةٌ؛ وهو رقيقٌ إلى الصفرة، يكون عند ملاعبة الرجل أهله، وعند حدوث الشهوة".[2] وربما تجاوز الإمام اليفرني غريب المتن إلى شرح اسم من أسماء الرواة، وبيان أصله اللغوي من باب تكثير الفوائد اللغوية حتى لو تعلقت بالإسناد، كقوله لما ورد اسم (أبان بن عثمان) في الإسناد قال: "(أبان بن عثمان) إن جعلت همزته أصليةً وألفه زائدةً، كأنه مشتق من أبنت الرجل تأبينًا: إذا مدحته بعد موته، أو من أبنته: إذا اتهمته

[1] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ٢/ ٥٢٢.

[2] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ١/ ٦٧.

بسوءٍ. فهو مصروفٌ؛ لأن وزنه فعالٍ بمنزلة أداءٍ".[1]

○ **فوائد كتابه**

إن المطالع في كتاب اليفرني في غريب الموطأ، يقف على فوائد منثورة ونكت متنوعة، وزعها المصنف أثناء كلامه على الأحاديث، يمكننا الإشارة إلى أهمها في نقاط

أولا) من وجوه خدمة الإمام اليفرني للموطأ تبيينه بعض المقادير والمكاييل والموازين المستعملة في الأحاديث النبوية، وما يقابلها من المكاييل والموازين المستعملة في عصره، تقريبا لفهم الحديث وتيسيرا للإنتفاع به.

مثال ذلك قوله : "و(الفرسخ): ثلاثة أميالٍ، والميل: عشر غلاءٍ. و(الغلوة) مائتا ذراع، ففي الميل: ألف باعٍ، وهي ألفا ذراعٍ، قاله ابن حبيبٍ. قال أبو الوليد: ومعناه عندي أبواع الدواب. وأما باع الإنسان وهو طول ذراعيه، وعرض صدره فأربعة أذرع، وهو القامة. [قال أبو عمر]: واختلفوا في (الميل) وأصح ما قيل فيه: ثلاثة آلاف ذراعٍ، وخمسمائة ذراعٍ".[2]

ثانيا) ومن خدمته لأحاديث الموطأ عنايته بعلم الصرف، وبيان صرف الكلمات، و أوجه النطق الصحيح، والمصنف له باع في علوم العربية واطلاع واسع عل المصنفات العتيقة في ذلك، لذلك أبدع في هذا الميدان ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في تعليقه، قال:

"وقوله: (فهو لما سواها أضيع) على مثال: أفعل في المفاضلة من الرباعي، وهو قليلٌ، واللغة المشهورة في ذلك: وهو لما سواها أشدَّ تضييعـًا؛ لأن الفعل الزائد على ثلاثة أحرفٍ لا يبنى منه أفعل.وحكى السيرافي: أن بعض النحاة قال: إن سيبويه يرى الباب في الرباعي فيما يجوز فيه التعجب والمفاضلة بأفعل، فيقال: ما أيسر زيداً من اليسار،

---

[1] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ١/ ٥١- ٥٢.

[2] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ١/ ١٧.

وما أعدمه من العدم، وما أشرفه من الشرف، وما أفرط جهله، وزيدٌ أفلس من عمرو".[1]

ثالثا) ومن فوائد كتاب اليفرني، اعتناؤه بالفروق اللغوي الدقيقة، حيث يعمد إلى لفظتين قريبتي المعنى، ويوضح الفرق الدقيق بينهما، وله اعتناء خاص بهذا الأمر ، الذي له أثر ظاهر في استنباط الأحكام الفقهية.

مثال ذلك قوله: "وقوله: (فأخر الصلاة ساهيـاً أو ناسيـاً). السهو: الذهول عن الشيء، تقدمه ذكرٌ أو لم يتقدمه، فأما النسيان فلا بد أن يتقدمه الذكر، وقد قيل: إنهما متداخلان، وأن معناهما واحد".[2]

رابعا) ومن فوائد الكتاب ذكره الخلاف في ضبط كلمة في الحديث يترتب عليها حكم فقهي مختلف فيه، فمن ضبطها بوجه بنى عليه حكما، ومن ضبطها بوجه آخر بنى حكما مغايرا.

مثاله، قوله: "جاء في أكثر الأحاديث: «ذَكَاةُ الجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ» فالحنفية ترجح فتح «ذكاةَ» الثانية على مذهبها في أنَّه يذَكَّى مثل ذكاة أمِّهِ؛ فيكونُ انتصابُهُ على المصدر المشبَّه به، وغيرهم من المالكية والشافعية: يرجِّحُ الرفع؛ لإسقاطهم ذكاتَهُ".[3]

خامسا) ومن فوائد هذا الشرح أنه حفظ لنا بعض نصوص الشروح القديمة المفقودة، كشرح الداودي المسيلي على الموطأ، وهو من أوائل الشروح التي وضعت على صحيح البخاري، ونصوصه عزيزة نفيسة، نقل ابن حجر بعضها في فتح الباري ، وحفظ لنا اليفرني كذلك البعض الآخر.

[1] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ١/ ١٨.

[2] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ١/ ٢٩.

[3] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ٢/ ٥٥.

مثال ذلك قوله: "ووجدت في كتاب الداودي في (شرح الموطأ): «أكل أو لم يأكل» فسقوط الواو من هذه الرواية يقتضي أنه قال: «أكل أولم يأكل» مكان: «قتل أو لم يقتل». يريد: أن نافعا اختلفت روايته عن ابن عمر؛ فذكر عنه مرة: «إن قتل وإن لم يقتل»، وذكر عنه مرة: «وإن أكل، وإن لم يأكل»، وسقطت «إن» في الموضعين من رواية الداودي".[١]

[١] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ٢/ ٦٠.

المبحث الثالث: جهود التلمساني في خدمة الموطأ من خلال كتابه المخطوط المختار الجامع بين الموطأ والإستذكار.

من الكتب الجليلة التي خدم بها أبو عبد الله اليفرني التلمساني موطأ مالك، كتاب الكبير الحافل الموسوم بالمختار الجامع بين المنتقى والاستذكار، وهو كتاب جليل ثابت النسبة إليه، فقد نسبه إليه من ترجم له، ووصفوه بأوصاف جليلة، تدل على عظمته، وموقعه العظيم في نفوسهم، لذلك احتفوا به أيما احتفاء، يقول ابن عبد الملك المراكشي: "وله مصنَّفاتٌ كثيرة أحفَلُها: (المختار في الجَمْع بين المنتقَى والاستذكار)".[1]

ويقول ابن الأبَّار: " وله تواليف في فنون منها كتاب الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه، اقتضبه من الكتاب الكبير المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار في عشرين سفرا أو نحوها يشتمل على نحو ثلاثة ألاف ورقة".[2]

ومما يؤكد نسبة الكتاب لمصنفه أن الغبريني وبين أنه سمعه من شيخه أبي القاسم بن خضر عن زكراء بن عصور عن المصنف أبي عبد الله اليفرني التلمساني، قال في كتابه (عنوان الدراية) :" وحدثني بكتاب (المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار) للفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني، الفقيه أبو القاسم بن خضر عن أبي زكرياء ابن عصفور عنه".[3]

---

[1] الذيل والتكملة، للمراكشي: ٥/ ٢١٠.

[2] التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار: ٢/ ١٦٦.

[3] عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الغبريني: ص٣٧٥.

○ **اسم الكتاب وصحة نسبته للؤلف:**

جاء في نسخة خزانة القرويين بفاس: "الأول من كتاب **المختار الجامع بين المنتقى والإستذكار**".[1]



وهكذا سمَّاه مصنِّفه في برنامجه كما نقل عنه ذلك المراكشي، حيث قال: " اقتضَبْتُه من الكتابِ الكبير كتاب (**المختار الجامع بين المنتقَى والاستذكار**)".[2]

وهذه دلائل كافية لاثبات صحة العنوان، وصحة نسبته لمؤلفه، فضلا على أن من ترجم له نسب الكتاب بهذا العنوان إلى مؤلفه، فتم المقصود.

ويجدر بنا أن ننبِّهَ أن الإمام الذهبي سمَّاه اختصارا فقال: (**المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار**).[3] فلم يذكر كلمة الجامع، وهذا على عادته في اختصار العناوين والاقتصار على ما يدل عليها فقط.

---

[1] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين- : (و/ ١).

[2] الذيل والتكملة، للمراكشي: ٥/ ٢٠٩.

[3] سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٢٢/ ٢٦١.

وهناك كتاب آخر يشبهه ولكن ليس لليفرني، اسمه: **(الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار)**[1]، لأبي عبد الله محمد بن سعيد، المعروف بابن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) وهو مؤلف سابق على تصنيف اليفرني، ولا أستبعد أنه استفاد فكرة تصنيف الكتاب منه.

---

[1] شجرة النور الزكية ، ابن مخلوف: ١/ ٢٢٩.

○ **منهج اليفرني في كتابه (المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار).**

هذا الكتاب يعد بحق موسوعة ضخمة في شرح موطأ الإمام مالك بن أنس، جمع المصنف فيه بيم كتابين عظيمين، بل هما أعظم الشروح التي وصلتنا على موطأ الإمام مالك، وهما: (الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار) للحافظ ابن عبد البر النمري، و(المنتقى شرح الموطأ) للإمام الباجي.

اتبع المصنف ترتيب الموطأ على الأبواب وليس على الرواة كما هو الحال في التمهيد لابن عبد البر، وهذا في الحقيقة أسهل في تناول الفائدة، وأيسر للبحث عن المعلومة في موضعها، فلا شك أن الغرض من الشرح هو الفهم الموضوعي، والوصول إليه عن طريق الأبواب الفقهية المعروفة أيسر للقارئ والمطالع.

يقول الدكتور عبد الرحمن العثيمين -محقق الاقتضاب-: "سار المؤلف في شرحه على ترتيب أبواب الموطأ رواية يحيى بن يحيى كما نص على ذلك في عنوان الكتاب (على الأبواب) وهو منهج سَلَفَيْهِ ابن حبيب والوقشي، وهو المنهج الذي سار عليه في كتابه الكبير(المختار) وهو كذلك منهج مصدريه (المنتقى) (والاستذكار) فيظهر أن المؤلف راعى ذلك كله".[١]

ومن منهجه وطريقته أنه إذا أراد أن ينقل كلام الباجي في المنتقى يبدأ الكلام بقوله: **(أبو الوليد)** يجعلها بخط غامق، حتى يشعر القارئ ببداية النقل عن أبي الوليد الباجي. وكذلك يفعل مع ابن عبد البر، يبدأ النقل عنه بقوله (**أبو عمر**).

أمّا طريقته ومنهجه في شرح الموطأ وترتيب المعلومات المستقاة من المصدرين السابقين، فقد سلك طريقة علمية منظمة، ومنهج في الشرح منسجم، التزمه في غالب

---

[١] الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني – مقدمة التحقيق- : ١/ ٣٦.

شرحه، وذلك أنه يقسم شرحه إلى فقرات تحت عناوين محددة يكررها من كل حديث أوحديثين يشرحهما، وهذه هي خطوات الشرح الحديثي عنده:

أولا) يقول (حديث) تحت هذا العنوان يسوق المصنف الحديث كاملا بإسناده فيقول مثلا: حديث مالك: "عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس".[1]

وكقوله في موضع آخر: " حديث: مالك عن هشام بن عورة عن أبيه عن حمران مولى عثمان بن عفان أن عثمان جلس على المقاعد، فجاءه المؤذن فآذنه بصلاة العصر، فدعا بماء فتوضأ والله لأحدثنكم حديثا لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه، ثم قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يصلي الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى، حتى يصليها".[2]

ثانيا) التعريف: وهو عنوان يضعه ويقصد به العريف بالرواة والترجمة لهم، حيث يعرف بأهم رواة الإسناد ، مترجما لهم من كتب الجرح والتعديل ترجمة مختصرة في العادة، ذاكرا بعض الفوائد المتعلقة بهم، مما يخدم الغرض العام من الشرح.

كقوله في ترجمة صفوان بن سليم : "صفوان بن سليم، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، يكنى أبا عبد الله، كان من العباد بالمدينة وسكنها ولم ينتقل عنها، وبها مات سنة اثنيتين وثلاثين ومائة، قال: قال ابن عيينة، وكان ثقة، وقال الجوهري: كان من أفاضل أهل زمانه...".[3]

---

[1] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين- : (و/ ١١٨).

[2] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين- : (و/ ٢٤١).

[3] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين- : (و/ ١١٨).

وإذا تكرر ورود الراوي في موضع آخر ربما نبَّه أنه ترجم له من قبل ، وربما أعاد الترجمة له باختصار، كقوله: " تقدم التعريف بهشام بن عروة وكان من الثقات الحفاظ العدول، توفي ببغداد وقيل بالكوفة، وهو ابن ست وتسعين سنة، لمالك عنه في الموطأ ست خمسون حديثا".[1]

ثالثا) اللغة وماكان في معناها: يتكلم تحت هذا العنوان عن الألفاظ الغريبة في الحديث، فيشرحها شرحا مفصلا، معددا اللغات في الكلمة، ذاكرا معانيها في أمات كتب اللغة، مستشهدا بأشعار قديمة في تأكيد المعنى المراد، وهذا هو أهم فصول كتابه.

مثال ذلك قوله: " الأشفار: حروف الأجفان وأطرافها، التي ينبت عليها الشعر، واحدها: شفرٌ وشفرٌ. هذا هو الأصل. وشفر كل شيءٍ: حرفه، وكذلك شفيره. ومنه؛ قيل: شفر الرحم، وشفير الوادي. وقد يُسمى الشعر النابت على الشفر شفراً بمنبته، على مذهب العرب في تسميتهم الشيء باسم الشيء إذا كان منه بسببٍ، كقولهم للمرأة: ظعينةٌ، وإنما [الظعينة] هو الهودج الذي يُظعن بها فيه".[2]

- وقوله: "خرج إلى المقبرة، أي: موضع دفن الموتى، قال الفراء: واحد المقابر مقبرة، ومقبرة. وبعض أهل الحجاز يقولون: مقبِرة بكسر الباء. وقد سمعت: مشرقةٌ ومَشْرَقَةٌ".[3]

رابعا) السند وما تعلق به، يتكلَّم تحت هذا العنوان عن الإسناد وما فيه من قضايا حديثية، كإختلاف الرواة، والاختلاف في الوصل والإرسال، وطريقة أداء الحديث،

---

[1] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين– : (و/ ٢٢٦).

[2] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين– : (و/ ٢٤٥).

[3] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين– : (و/ ٢٣٠). وانظر: الاقتضاب في غريب الموطأ، اليفرني: ١/ ٥٤.

وغيرها من المسائل المتعلقة بالصنعة الإسنادية، وهو في العادة يختصر ولا يطيل في هذا الباب.

مثال ذلك قوله: " لا اختلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث. أبو عمر: وقد روى حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رجلا سأل النبي عليه السلام عن صلاة الصبح فذكر مثل مرسل عطاء بن يسار هذا سواء. أبو الوليد: وقد ذكر القنازعي رحمه الله أن سفيان أسنده عن زيد عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأراه وهم وقوله «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن وقت الصلاة» ".[1]

خامسا) المعنى وما يدخل فيه من الفقه. يتكلم تحت هذا العنوان بإسهاب وتفصيل عن المعنى الإجاملي والتفصيلي للأحاديث، ويذكر المسائل الفقهية المتعلقة بالحديث، وينقل المذاهب ويحلل ويرجح، وهو المبحث الأساس في الكتاب.

هذه هي العناوين الأساس التي يوردها في سائر شرحه، وقد يجعل عنوانا فرعيا تحت (المعنى والفقه) فيقول مثلا:

سادسا) إختلاف العلماء في معنى هذا الحديث، تحت هذا العنوان يسوق مادته العلمية الفقهية الخلافية، ويستفصل في القضايا المتعلقة بشرح الحديث، حيث يسوق خلاف العلماء ذاكرا أقولهم مرجحا ما يراه صوابا، مثال ذلك قوله: " **اختلاف الفقهاء في الأذنين وحججهم.** قال مالك وأصحابه وابن حنبل: الأذنان من الرأس إلا أنه يستأنف لهما ماء جديدا سوى الماء الذي يمسح به الرأس. وقال الشافعي: كقول مالك يستأنف للأذنين الماء ولا يمسحان مع الرأس إلا أنه قال هما سنة على حيالهما لا من الوجه ولا من الرأس كالمضمضة والاستنثار...واحتج أصحاب الشافعي

---

[1] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين– : (ظ/ ١٥).

بإجماع القائلين بعموم مسح الرأس إلا أنه لا إعادة على من صلى ولم يمسح أذنيه وبإجماع العلماء على أن الحاج لا يحلق ما عليهما من الشعر...".[1]

[1] المختار الجامع ، اليفرني – مخطوط نسخة القرويين- : (و/ ٢٤٧). وانظر، الاستذكار لابن عبد البر: ١/ ١٩٩.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

الحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد: فيعد هذه الإطلالة على جهود الإمام أبي عبد الله اليفرني التلمساني في خدمة موطأ الإمام مالك يمكننا تلخيص أهم نتائج البحث في نقاط هي:

١- كانت لعلماء الجزائر عناية خاصة بموطأ الإمام مالك، إذ هو الأصل الذي عولوا عليه في مذهب مالك، لذلك اشتغلوا عليه تدريسا وتأليفا.

٢- خدم الإمام اليفرني التلمساني موطأ مالك بشرحين عظيمين الأول: جمع فيها بين الاستذكار والممنتقى، والثاني اقتضبه منه وخصه بغريب الحديث، وقد أبدع في جمعه واقتضابه، وكانت له إضافات على من كان قبله.

٣- غلبت على الإمام اليفرني التلمساني الصناعة اللغوية في كتابه المقتضب، بينما غلبت عليه النزعة الفقهية في كتاب الآخر المختار الجامع، وهذا غير مستغرب كونه فقيها قاضيا، عالما بالخلاف.

٤- جمع الإمام اليفرني التلمساني بين شرح ابن عبد البر وشرح الباجي، لم يكن مجرد دمج بين شرحين معروفين، بل كان انتقاء جيدا لأجود ما في الكتابين، مع إضافات وتوضيحات مهمة.

التوصيات:

في ختام هذا البحث أوصي الطلبة والباحثين بالبحث في الجانب اللغوي والشاهد الشعري في كتاب الاقتضاب شرح غريب الموطأ لليفرني، فإنه ثري من هذه الجهة.

كما أوصي المؤسسات التراثية بخدمة كتاب اليفرني الكبير الذي لا يزال مخطوطا لم ير النور بعد، وذلك بتبني إحدى المؤسسات تحقيق هذه الموسوعة العلمية بعد جمع مخطوطاتها المتنازرة في الخزائن، حفاظا على هذا التراث العظيم من التلف والضياع.

قائمة المصادر والمراجع:

- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، أبو عمر يوسف بن عبد الله، ابن عبد البر النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط،١٤١٣هـ.

- الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، محمد بن عبد الحق اليفرني التلمساني، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، مكتبة العبيكان ، ٢٠٠١م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أبو عمر يوسف بن عبد الله، ابن عبد البر النمري، ط١، مؤسسة الفرقان الإسلامية، لندن، ١٤٣٩ هـ

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م.

- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، دار الفكر للطباعة، لبنان ، ١٤١٥ م.

- برنامج شيوخ الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث، دمشق ١٣٨١ هـ.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

- عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغِبْرِيني، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
- المنتقى شرح الموطإ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ط١، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ.
- الوفيات، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: عادل نويهض، ط٤، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ.